الفكر التربوي عند ابن باديس

The educational thought of Ibn Badis

La pensée éducative d'Ibn Badis

د. صالح صوالحية

جامعة السعيدة

تاريخ الإرسال: 21-03-2022 - تاريخ القبول: 13-04-2022 - تاريخ النشر: 31-07-2022

ملخص

تبين دراسة الفكر التربوي عند ابن باديس وتطبيقاته العملية في ميدان التربية والتعليم أن هدف هذا المفكر هو تحقيق البعث الحضاري للأمة والنهوض بالمجتمع الجزائري، الذي كان يعاني التخلف الفكري والجمود العلمي نتيجة تواجد الاستدمار الصليبي الذي حاول بكل إمكانيته المادية والبشرية والحضارية محو مقومات الشخصية الجزائرية المتميزة، وطمس معالم الحضارة العربية الإسلامية التي تميز المجتمع الجزائري عن غيره. وإذا جمعنا حصيلة أفكاره وآرائه الإصلاحية والتربوية نجدها في النهاية تشكل إطارا لنظريته التربوية التي عملت على تغيير المجتمع والفرد وتجديد رؤيته الاجتماعية، انطلاقا من الماضي وفهم للحاضر والعمل على تحقيق المستقبل، وذلك بناء على الفهم المعمق للأصول التربوية للنظرية التربوية الإسلامية، والبحث المستمر عن الحقائق العلمية الموضوعية باستخلاص النتائج التي تنبني عليها الدعوة الإصلاحية التي حملها ابن باديس في عمله التربوي الذي جسد نظرته التربوية عمليا وتنظيريا.

الكلمات الدالة: الفكر التربوي؛ ابن باديس؛ النظرية التربوية.

Abstract

The study of the educational thought of Ibn Badis and its practical applications in the field of education shows that the objective of this thinker is to initiate a civilizational renewal of the nation and an evolution of the Algerian society which suffered from an intellectual backwardness and a scientific stagnation caused by the destructive presence of the crusaders who worked by using all the material, human and civilizational capacities at their disposal to erase the components of the Algerian personality, and the landmarks of the Arab-Islamic civilization. Islamic educational theory and the continuous search for objective scientific facts constitute the philosophical framework for the construction of its educational thought on which its reformist action is based.

Keywords: pedagogical thinking; Ibn Badis; educational theory, Algerian personality.

Résumé
L'étude de la pensée éducative d'Ibn Badis et ses applications pratiques dans le domaine de l'éducation montre que l'objectif de ce penseur est d'amorcer un renouveau civilisationnel de la nation et une évolution de la société algérienne qui souffrait d'un retard intellectuel et d'un marasme scientifique causés par la présence destructive des croisés qui ont œuvré par l'utilisation de toutes les capacités matérielles, humaines et civilisationnelles dont ils disposaient pour effacer les composantes de la personnalité algérienne, et les repères de la civilisation arabo-islamique. La théorie éducative islamique et la recherche continue de faits scientifiques objectifs constituent le cadre philosophique de la construction de sa pensée éducative sur laquelle repose son action réformiste.

Mots-clés: pensée pédagogique; Ibn Badis; théorie éducative, personnalité algérienne

مقدمة

تهدف دراسة الفكر التربوي عند ابن باديس إلى كشف الآراء والأفكار التربوية التي طبقها هذا المفكر الذي كان يرى بأن العملية التربوية الفعلية الواقعية هي التي تحقق الهدف المنشود المتمثل في بناء الفرد الجزائري وتغيير شخصيته في كل أبعادها، وذلك من أجل النهوض بالمجتمع الجزائري وتجديد رؤيته الفكرية والعلمية والحضارية والتربوية بتربية وتعليم الفرد الذي هو أساس إصلاح المجتمع وهو الخلية الجوهرية في تغييره، ومنطلق لمحاربة الجمود الفكري والتخلف الحضاري الذي كان يعاني منه المجتمع الجزائري أثناء التواجد الاستدمار الفرنسي، الذي حاول محو مقومات الشخصية الوطنية من خلال تكريس سياسة الدمج والفرنسة ومحاربة التعليم العربي الحر واللغة العربية في التعليم القرآني، وعمل على غلق مدارس جمعية العلماء المسلمين. ونتيجة لذلك بادر ابن باديس إلى صياغة مشروع تربوي إصلاحي تجديدي يهدف إلى إنقاذ المجتمع الجزائري من المشروع الاستدماري الفرنسي الذي خطط له ووفر كل الوسائل المتاحة لتدمير الشخصية الجزائرية وطمسها.

انطلاقا من هذا المنظور يرى ابن باديس بأن الإصلاح يبدأ بالإنسان لأن صلاح الفرد هو الخطوة الأولى لصلاح المجتمع، كما يرى بأن صلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموعة، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس إما مباشرة وإما بواسطة المؤسسات. ولكن كيف يتم هذا الصلاح؟ يرى ابن باديس بأن المسؤولية الفردية والجماعية لعلماء المسلمين المفكرين فيما أصاب المسلمين في دينهم لهي

مسؤولية عظيمة (عمار طالبي، 1978، ص 50). وصلاح المسلمين أو فسادهم يتم بصلاح أو فساد علمائهم. فهم من الأمة بمثابة الجسد فإذا صلح العضو صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله.

ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم لأن التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من علمه لنفسه ولغيره. وصلاح هذا التعليم يؤتي ثماره الموجودة، بالرجوع إلى المنهج الإسلامي النبوي في شكله ومضمونه وطرائقه وفي مادته وصورته وأن هذا المنهج التربوي هو أساس الإصلاح. (طالبي، 1978، ص 52).

1. العوامل المؤثرة في الفكر التربوي عند ابن باديس

1.1 الأصالة الإسلامية

يقوم أساس هذه الأصالة على مصادر الإيمان الخالص من التحريف وذلك بالعودة إلى القرآن والسنة القولية والفعلية، باتخاذ القرآن الكريم مصدرا للفكر والسنة دليل العمل، وأن يكون المصدر هنا هو الثقافة العربية الإسلامية، وأن الهدف هو إحياء عظمة الماضي بتشكيل الرصيد التاريخي بحيث ينسجم مع متطلبات العصر الحديث انطلاقا من المفهوم الصحيح للإسلام "عقيدة وعبادة ومعاملات وعلاقات" و الفهم العميق وأبعاده التربوية. ويقول ابن باديس في هذا الإطار "إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه، وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على ألا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام، فالمسلم الفقيه في الإسلام غني عن كل مذهب من مذاهب الحياة. (عمار طالبي، 1978، ص 53)

وتأكيدا لوجهة نظره يقول أن القرآن هو الدستور الإلهي الذي ينظم حياة البشر في الدنيا والأخيرة، حيث يوضح ذلك قائلا بأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام، وأن كل من خالفه فهو في ضلال، وأن الإسلام يحقق الفعالية الروحية والفكرية والعلمية للأمة ومنطلقا لتجديد الفكر الاجتماعي والتربوي للمجتمع الجزائري المتميز بأصالته العربية والإسلامية وثرائه الثقافي المتجدد مع متطلبات العصر حيث يحدد الأسس الحقيقية

لهذا البحث الحضاري من خلال هذا التحليل الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله وبتفقهه حسب طاقته، في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينبني ذلك على الفكر والنظر فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حياة فكر وعمل ومحبته للإسلام محبة عقلية وقلبية بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان، يكون ذلك مبنيا على التفكير العلمي السليم والفهم الدقيق للآيات القرآنية بالمحسوس والمجرد ومن أجل فهم الكون المبدع وهذا ما يؤكده التفكير في آيات الله السمعية وآياته الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر، تنهض الأمم فتستثمر ما في السموات والأرض وتشيد صروح المدنية والعمران. (طالبي، 1978، ص 73)

نستخلص مما سبق أن ابن باديس يعتبر أن الإسلام هو أساس البعث الحضاري للأمة الجزائرية والطاقة المحركة لكيانها الاجتماعي والثقافي، وأنه يشكل المصدر الأول الذي أستقصى منه فلسفته التربوية وتجاربه العملية ومنهجه التربوي والإصلاحي الذي وضعه ليكون البديل للنظام التربوي الاستدماري والوضع السائد في زمانه.

ومن المؤكد أن لكل نظام تربوي مبادئ دينية وأسس فلسفية واجتماعية وثقافية يستمد منها المربي أفكاره وآراءه التربوية والإصلاحية التي ينطلق في تطبيقها من خلال العقيدة الدينية والفلسفة الاجتماعية التي يؤمن بها والتي توجهه وتحدد له الأهداف والغايات وترسم الطرق والوسائل الكفيلة لتحقيقها وهذا ما نجده في مسعى ابن باديس الذي أستمد مختلف خططه التربوية من روح الثقافة الإسلامية المتميزة بالفعالية الفكرية والروحية والعلمية التي تعتبر أساس النهوض بالمجتمع من الجمود الفكري والتخلف الحضاري. (صوالحية، 1984، ص 43)

2.1 الاستفادة من تجربة الحركة الإصلاحية في المشرق العربي

إن الحركة الإصلاحية في المشرف العربي التي تزعمها جمال الدين الأفغاني وتلميذيه محمد عبده ورشيد رضا قد استقطبت اهتمام زعماء الاسلام والعالم الاسلامي والمغرب العربي بصفة خاصة وبالأخص عناصر جمعية العلماء المسلمين الذين استفادوا من منهج السلف الصالح وسلكوا في السبيل الاصلاح الاجتماعي والديني والتربوي من أجل انقاذ المجتمع الجزائري من الجمود الفكري والتخلف الحضاري ومن الآفات الاجتماعية

التي أصابت جسم المجتمع واضعفت فاعليته ومناعته الاجتماعية وأوهنت كل قواه بسبب ابتعاده عن القرآن والسنة النبوية والثقافة الذاتية لهذا المجتمع. ونجد تأثير فكر رواد هذه الحركة الاصلاحية جليا في كتابات الشيخ عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي وخاصة عند تحديد العلة - واللون والداء والعلاج حيث نجد الشيخ البشير الابراهيمي يؤكد ذلك في خطابه أمام أعضاء الجمعية في المؤتمر. (طالبي، 1978، ص 104)

لا نزاع في أن أول صيحة ارتفعت في العالم الاسلامي بلزوم الاصلاح الديني والعلمي هي صيحة امام المصلحين الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذي يعتبر أندى الائمة المصلحين صوتا وأبعدهم صينا في عالم الإصلاح، فلقد جاهر في الحقيقة المرة وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الرجوع إلى الدين الصحيح والتماس هديه من كتاب الله ومن سنة نبيه، و إلى تمزيق الحجب التي حجبت عنا نورهما وحالت بيننا وبين هديها مبينا بصوت يسمع الصم وبلاغة تسترسل العصب أن علة العلل في سقوط المسلمين وتأخرهم وراء الأمم وانحطاطهم عن تلك المكانة التي كانت لهم في سالف الزمن هي بعدهم عن ذلك الهدي الروحاني الأعلى. (طالبي، 1978، ص 107)

كانت صيحة الإمام محمد عبده بمثابة صوت دو حرك النفوس الحائرة والعقول الجامدة والمتحجرة التي شوهت حقيقة الإسلام وأبعدت الناس عنه نتيجة التصرفات المضللة والتقليد الأعمى للغرب. كانت تلك الصيحة الداوية لهذا المصلح العظيم في وجه المتربصين بالإسلام والمبطلين من تجار الولاية والكرامات وعبادة الأجداث والانصاب وأذان الجامدين من العلماء. (الابراهيمي، 1974، ص 46)

وقد بين الابراهيمي العوامل التي جعلت من محمد عبده شخصية عظيمة ذات التأثير الفعال على التجارب الإصلاحية في الجزائر حيث يحدد لنا في خطابه الخصائص المميزة لهذا الرجل العظيم، وكان الأستاذ الإمام اعجوبة الاعاجيب في الألمعية وبعد النظر وعمق التفكير ووحدة الخاطر واستنارة البصيرة، وسرعة الاستنتاج واستشفاف الخبات، حكيم بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى (الابراهيمي، 1974، ص 48)

يتضح لنا جليا أن تأثير محمد عبده ودعوته الاصلاحية كانت بمثابة المصباح الكهربائي الذي أشاع بنوره على المجتمع الاسلامي الذي كان يبحث عن قبس من ذلك النور ليخرجه من الدوامة والانحطاط الحضاري ويأخذ من ركب الحضارة الانسانية. وقد

حمل لواء الاصلاح بعده تلميذه الاكبر رشيد رضا الذي نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنار وكتب في المنار وغير المنار وهو الذي جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين، وهو الذي لفت المسلمين إلى هداية القرآن الكريم وهو الذي دجر خصوم الاسلام من المشين اليه وغير المنتمين اليه وهتك استارهم. (الابراهيمي، 1974، ص 58)

مما سبق نجزم بأن ابن باديس قد تأثر بالحركة الإصلاحية بالمشرق العربي، من خلال احتكاكه المباشر بروادها اثناء تواجده بالمشرق ومن خلال الاطلاع المتواصل على آداب الفكر التربوي الذي تنشره المجلات الفكرية في المشرق.

3.1 الرحلات العلمية نحو تونس

أن الرحلات العلمية التي قام بها ابن باديس نحو تونس للتحصيل العلمي بجامع الزيتونة، الذي كان يعتبر قطبا من أقطاب الثقافة الاسلامية ومركز إشعاع للثقافة العربية الإسلامية، كانت فرصة لتأثره ببعض علماء الزيتونة الذين قادوا الحركة الاسلامية بتونس وعملوا لتطبيق ونشر أفكار الأفغاني وعبده في أواسط النخبة المثقفة لتحقيق التجديد الاجتماعي والتربوي والديني و الفكر الاسلامي بالمجتمع التونسي. وقد تركت الأفكار الإصلاحية التي كان ينادي بها محمد النخيلى ومحمد الطاهر بن عاشور بصماتها على شخصية ابن باديس، وكانت ذات تأثير فعال في مكونات شخصيته وتوجهه الفكري. كما تأثر بن باديس بفكر الأخضر بن الحسين فتلقى منه كتاب التهذيب ودروب التفسير وأعتبره شيخه الذي ربى عقله وحبب في نفسه الاصلاح منذ أن كان طفلا إلى أن صار رجلا. (طالبي، 1978، ج3، ص 54)

من هنا يتجلى التأثير النفسي الذي أحدثه استاذه في نفسيته واتجاهه العقلي الى العلم. ومجمل القول أن الاحتكاك العلمي والفكري بين ابن باديس وأستاذه قد لعب دورا في توجيه فكره نحو العلاج السليم لبعث النهضة العلمية والثقافية والتربوية في المجتمع الجزائري، الذي كان في اشد الحاجة للقيادة الروحية والفكرية من أجل البعث الحضري الذي يبدد الجمود الفكري والجهل ويزيد الآفات الاجتماعية التي كانت تفتك بالجسم الاجتماعي لهذا المجتمع المتغرب.

وإذا دققنا في فكر التربوي عند ابن باديس فإننا نجد أن بعض آرائه وأفكاره مطابقة تماما لآراء أساتذته بتونس، وآراء قادة الحركة الإصلاحية بالمشرق وخاصة فيما يتعلق

بالإصلاح الديني والتربوي والوسائل الكفيلة لتحقيق النهوض الاجتماعي، وهذا ما نؤكده من خلال عرض الفكر التربوي عنده . (تركي، 1976، ص 104).

4.1 الرحلة العلمية نحو المشرق

لقد وقف ابن باديس على النهضة الفكرية والثقافية وبالمشرق العرب والحجاز والتي كانت ثمرة للحركة الإصلاحية التي أسلفنا القول عنها، وأن تواجده بأرض الحجاز ومصر جعله يطرح عدة تساؤلات عن واقع المجتمع الجزائري وكيف يمكن تحقيق النهوض الفكري والبعث الحضاري وتجديد رؤيته الاجتماعية نحو المستقبل، وكيف يمكن تصحيح وجهة نظرة عن الحياة والعمل وكيف يكون الخلاص فيما هو فيه وما هو السبيل الأمثل والاوحد لتحقيق ذلك؟، مع العلم أن المجتمع الجزائري بلغ مستوى من التأخر الحضاري والجمود يصعب معه شحذ فاعليته الروحية من اجل تحقيق الإقلاع التربوي، ومن أجل استئصال الآفات الاجتماعية التي فتكت بكيانه الاجتماعي. (تركي، 1976، ص 108)

ان طرح هذه المواقف المتشابكة والمعقدة كانت نتيجة لاحتكاكه ولقائه مع معظم المفكرين الاسلاميين بالحجاز ومصر والشام واطلاعه المباشر على نتائج العملية المحققة من طرف الحركة الاصلاحية بالمشرق وثمرات مجهوداتها مما جعلته يتبن موقفه الإصلاحي وهو لا يزال بالمشرق. (رتركي، 1976، ص 110)

2. مفهوم الاصلاح التربوي عند ابن باديس

1.2 منطلقات مفهوم الاصلاح عند ابن باديس

رسم ابن باديس الخطوط العريضة لمشروعه بعد لقاءات متعددة مع القائد الثاني لجمعية العلماء المسلمين الشيخ الإبراهيمي والاتفاق على الانطلاق في المرحلة الاولى من العمل الجماعي مع النخبة المثقفة ثقافة اسلامية والواعية بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، وأن يكون المنطلق هو القرآن والسنة الفعلية والقولية والثقافة العربية الاسلامية الاصيلة والاستفادة من تجارب الأمم الباقة في الاصلاح مع تكييف ذلك وفق المعطيات التاريخية والاجتماعية المجتمع الجزائري وأخذ بعين الاعتبار أحواله وظروفه وخصائصه المميزة. وكان الاتفاق على أن يكون الانسان محور العملية التربوية والوسيلة والغاية لتحقيق النهوض الاجتماعي ونجاح العمل المراد إنجازه.

إن المنطلق الاساسي لحركة الإصلاح التربوي والاجتماعي في الجزائر هو القرآن والحديث والسنة أي العودة إلى الينابيع الأولى للفكر الاسلامي الخالص. وكانت الآية القرآنية الكريمة: ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». الجوهر الحقيقي للإصلاح الاجتماعي بمثابة مقولة تربوية لإحداث التغيير في نفسية الانسان الجزائري، وقد اتخذت كمصدر لشعار المنظومة التربوية القائل :غير نفسك تغير التاريخ، فالتغير النفسي هو نقطة الانطلاق للإقلاع الحضاري والجوهر الاساسي للتغيير الاجتماعي للمجتمع والاداة الفعالة التحول المجتمع من حالة اليأس والخمول الى حالة اليقظة والنهضة الحضارية التي يعتبر فيها الانسان محور العملية التربوية.

يوضح مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة أن حركة الإصلاح التي قام بها العلماء الجزائريون كانت أقرب الى النفوس وأدخلها في القلوب اذ كان أساس مناهجهم الاكمل الآية الكريمة سالفة الذكر، فأصبحت هذه الآية شعار كل من ينطرح في سلك الإصلاح في مدرسة ابن باديس وكانت أساس لكل تفكير. فظهرت آثارها في كل خطوة وفي كل مقال، حتى أشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير. فأصبحت أحاديثه تتخذها شرعة ومنهاجا، فهذا يقول لا بد من تبليغ الاسلام الى المسلمين، وذلك بعظ فلنترك البدع الشنيعة البالية التي لطخت الدين، ولنترك هذه الأوثان. وذلك يلح يجب أن نعمل، يجب أن نتعلم. يجب أن نجدد صلبتنا بالسلف الصالح، ونحي شعائر المجتمع الاسلامي الأولى.

ويدعم المفكر الجزائري مالك بن نبي وجهة نظره على ما يقول بدليل عملي ((أولم يكن العلماء أنفسهم ينهلون من ذلك الينبوع معجزتهم من عام 1929 حتى 1936 إذ كانوا يغيرون ما بنفس الفرد وذلك التغيير الذي هو الشرط الجوهري لكل تحول اجتماعي رشيد)). (ابن باديس، 1986، ص 119)

تلكم هي صيحة الاصلاح التي حركت النفوس الخاملة والعقول المخدرة وأيقظتها من نومها وبعثت فيها روح البعث الروحي والفكري . وهكذا أتيح للإصلاح ان يمسك بين يديه زمام تقاليد النهضة الجزائرية وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الاسلامية الخالص.

بعد هذا التحليل المنطق الاصلاح يجب علينا تحديد المفهوم لغويا وتربويا. (الجمالي، 1978، ص 56). وأساسه واساليب تنفيذه، والاهداف والغابات التي يريد ابن باديس تحقيقها من وراء هذا الاصلاح الاجتماعي والتربوي. (ابن باديس، 1986، ص 126)

2.2 حول مفهوم الاصلاح

ان كلمة الاصلاح ليست غريبة عن الاسلام فالقرآن الكريم ساهم في نشر فكرة الاصلاح في الجماعة الاسلامية وهناك آيات قرآنية كثيرة أشارت الى المفهوم تارة بتلميح وأخرى بتصريح إلا أن الآية الكريمة: "وان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب". (سورة هود الآية 88) أتخذت شعارا لدى كافة المصلحين.

فكرة الاصلاح توجد في القرآن وتتجسد في تعاليم الإسلام التي تهدف إلى اصلاح الفرد والمجتمع وفق مضمون الرسالة الإسلامية، وأتخذ ابن باديس قولة مالك شعارا لدعوته الاصلاحية (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها). ويتضمن المفهوم معنا لغويا ويعني ارجاع الشيء إلى اعتداله وذلك بإزالة الفساد والاعوجاج منه. أما المفهوم التربوي فيعني به التجديد التربوي الأصيل وذلك بالعودة إلى الفكر التربوي الاسلامي الأصيل وينابيعه الاولى وهي القرآن والسنة وعهد الرسول باعتباره يمثل النموذج الأمثل تربويا من حيث المضمون والاساليب التربوية الفعالة التي تربط بين العلم وبين القول والفعل وبين الاعتقاد والسلوك (أحمد، 2011، ص 106)

فالإصلاح التربوي عند ابن باديس يعني التجديد التربوي للمنظومة التربوية والاساليب التعليمية ذات القيمة العملية والتطبيقية وذلك بتوظيف التجربة التربوية الاسلامية الرائدة نظرا لنجاحاتها التربوية التي حققتها من حيث الأهداف والغايات ومن حيث التغيير الجوهري الذي أحدثته في نفسية الشباب الإسلامي أيام الدعوة المحمدية والصحابة الأجلاء وتجسيد مضمون التربية القرآنية في الواقع الحياتي بكل أبعادها وهذا يبرز الدور الحقيقي الذي لعبته التربية القرآنية في تجديد المجتمع العربي الاسلامي ودورها في تغيير المجتمع الجاهلي الذي كان يموج في بحر الإعتقادات الخاطئة والاتجاهات الاجتماعية السلبية إلى مجتمع يتميز بالفاعلية الاجتماعية والحضارية والاتجاهات الايجابية بفضل التطبيق العلمي لتعاليم القرآن والسنة النبوية.

من هذه المنطلقات الجوهرية يبين ابن باديس أن التجربة التربوية الاسلامية الاصيلة هي سلاح مواجهة المشكلات الحضارية والثقافية والتربوية والاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع الجزائري اثناء فترة الاستدمار الفرنسي. ويضيف أن التمسك بالأصالة الحضارية والثقافية لهذا الشعب العريق وتوظيف رصيده الحضاري والتراث والثقافي

لمواجهة المشكلات الناتجة عن الوجود الاستدماري هي السبيل الأمثل للوصول إلى الأهداف المرجوة وأن يكون المنطلق هو أن يكون الانسان الجزائري المسلوب الإرادة المحور الاستراتيجي للعملية التربوية والحركة الإصلاحية. وقد أنطلق ابن باديس من منظور التربية القرآنية حيث وظف الآية (25) من سورة الاسراء التي حددت معالم اصلاح الفرد قبل المجتمع باعتبار أن الفرد الخلية الحية في البناء الاجتماعي ويمثل اللبنة الأساسية الاقامة دعائم المجتمع الانساني. والآية القرآنية "وربكم أعلم بما في نفوسكم أن تكنوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا" (ابن باديس، 1986، ص 133)

ومن خلال تتبعنا لشرح ابن باديس هذه السورة نستطيع استقراء هذه العلاقة، فهو يرى أن هناك علاقة تكاملية بين مطالب النفس والجسم وبين الروح والمادة حيث نجده يحدد هذه العلاقة القائمة في التوازن القائم بين المطالب البدنية والروحية للإنسان وأن أي اختلال وظيفي لكل منها يعني حدوث اختلال في توازن شخصية الفرد وينعكس ذلك على أعماله وأقواله وتشكيل شخصيته الفردية. ويؤكد ذلك قائلا: (ان صلاح الانسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها).

وهناك علاقة قائمة بين صلاح الانسان ورقيه وانحطاطه الاجتماعي، فلا يمكن للفرد أن يحقق الرقي الاجتماعي وهو غير مهيئ نفسيا وخلقيا لأن العقد النفسية الداخلية تؤثر على نفسية الفرد الذي يفقد القدرة التوازنية على ضبط نفسه مما يجعله غير قادر على التأثير في المجتمع الذي هو عنصر فعال فيه وخاصة إذا كان أبا أو أما لأن من اجل اصلاح الانسان يجب تزكية النفس طبقا لما جاء في قوله تعالى: "وقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" (الآية 4)، وتتطلب تزكية النفس التزود بالزاد الذي يطهرها من مختلف العقد الداخلية ويتم ذلك بفضل التربية القرآنية التي يحتوي مضمونها على العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم والتعلم والارادة.

ويقول ابن باديس حول هذه الفكرة الجوهرية: (وإذا صلحت النفس هذا الصلاح، صلح البدن كله وجرت الاعضاء كلها في الأعمال المستقيمة والعكس صحيح. أما إذا فسدت النفس من ناحية العقائد أومن ناحية الخلق والعلم فسد البدن وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد ، أي هناك علاقة تكاملية بين جوانب شخصية الفرد داخليا وبدنيا وبإعتبار أن شخصية الفرد كل متفاعل ومتكامل ولا يمكن الاعتناء بالجانب دون الآخر. (طالبي، 1978، ص 146).

هذه الحقيقة تقرها الدراسات النفسية الحديثة التي ترى أن الاهتمام بالإنسان يجب أن يراعي مختلف جوانب شخصيته وأن اغفال المطالب العضوية والنفسية يؤدي إلى حدوث اختلال في تشكيل شخصية الفرد وبالتالي اصابته بالعقد النفسية الخبيثة وانعكاس ذلك على مواقفه اليومية في الحياة وسلوكه الاجتماعي باعتباره عضوا اجتماعيا بشكل الخلية الاجتماعية للمجتمع، ويؤلف خلية حية في التركيب الاجتماعي لمجتمعه. ومن هذا المنظور يرى المصلح الجزائري أن التغيير النفسي للفرد يعتبر أساس الاصلاح. (طالبي، 1978، ص 166)

3.2 التغيير النفسي أساس الاصلاح

إن تزكية النفس وتحريرها من ضغط العقد النفسية يعني تغيير اتجاهاتها السلبية إلى اتجاهات إيجابية وذلك بتعديل سلوك الفرد بعد تهذيبه وتربيته نفسيا واجتماعيا وتهيئته من أجل تحقيق التغيير النفسي المطلوب انطلاقا من ذاتيته ويتحقق ذلك بتربية الضمير الذي يقود الفره نحو السلوك الأمثل الذي يتفق مع معايير اخلاق المجتمع. والعقيدة. ويتم ذلك انطلاقا من المنظور الإسلامي الذي قرره أحد علماء الإسلام المعاصرين (إن الامم لا تنهض من كبوة ولا تقوى من ضعف، ولا ترتقي من هبوط إلا بعد تربية أصيلة حقة، وإن شئت فقل.

بعد تغيير نفسي عميق الجذور، بحول الجمود إلى حركة والغفوة إلى صحوة، والركود إلى يقظة والفتور إلى عزيمة، والعقم إلى انتاج، والموت إلى حياة. التغير في عالم النفس اشبه ما يكون (بثورة أو انقلاب في عالم المادة، وذلك تغيير يحول الوجهة والاخلاق والميول والعادات، تغيير نفسي لابد أن يصاحب كل حركة أو نهضة أو ثورة سياسية أو اجتماعية. ومن غيره تكون النهضة أو أي اصلاح حبرا على ورق أو كلام أجوف يتبدد في الهواء، ولكن هذا التغيير أمر ليس بالهين اليسير إنه عبئ ثقيل لأن الانسان مخلوق مركب معقد ومن أصعب الصعب تغير نفسه أو قلبه او فره). (طالبي، 1978، ص 206)

إن الايمان هو الينبوع الذي تستقي منه الأخلاق الفاضلة التي بدورها تقود الانسان إلى معرفة نفسه ومعرفة الحق والحقيقة. وهذا هو العلم الذي يقود الانسان إلى العمل الصالح وأن يجعله قادرا على ضبط نفسه والتحكم في شهواته والتوافق مع محيطه وبيئته الاجتماعية والقدرة على العطاء وأداء الواجب ومعرفة الحق والدافع عنه في حالة

التعسف ومعرفة الخير وتحمل اصلاح الفساد والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتضحية بالنفس والمال في سبيل الحق والدفاع من أجله. من هذا المنظور الاسلامي أدرك ابن باديس الأبعاد التربوية لتغيير النفس.

ومن خلال تجربته العملية والتعليمية أدرك ابن باديس أن البعد الجوهري في الاصلاح هو اصلاح النفوس الذي هو نقطة الاقلاع الحضاري لتحقيق النهضة الحضارية المتكاملة الأهداف والغايات والاساليب وبلوغ المقاصد المنشودة للإصلاح الاجتماعي والتربوي للمجتمع الجزائري على مستوى الفرد والمجتمع وهذا بعد إدراكه أن الوسيلة التي يتم بها تغيير النفس هي الايمان اليقيني الخالص المبني على القول والفعل والتجسيد السلوكي أي العلم والعمل والارادة القوية.

فالإيمان هو الذي يهيئ النفوس لتقبل المبادئ الخيرة وهو العنصر الوحيد الذي يغير النفوس تغييرا تاما، فيغير أهدافها وطرائقها، ووجهتها وسلوكها. فلو عرفت شخصا واحدا في عهدتين، عهد الجهل وعهد الايمان، لرأيت الثاني شخصا غير الأول لا يصل بينها إلا الاسم أو النسب أو الشكل وأدركت التغيير الجوهر الذي يحدثه الايمان وقوته النفسية من حيث تشكيل شخصية الفرد المسلم وميكانيزماتها على مستوى التوافق النفسي والتعامل والعلاقات والعقيدة والمواقف.

إن الايمان هو الذي يدفع الشخص إلى تغير نفسه واتجاهاته وفق ما يؤمن به ووفق عقيدة مجتمعه باعتباره قوة نفسية كامنة في داخلية الانسان وهي التي تحرك الفرد وتوجه سلوكاته وهي الطاقة الكامنة التي تمد القوة للفرد من أجل مواجهة نفسه ومشكلاته.

4.2 التزكية النفسية وسيلة وغاية الإصلاح

لقد حدد ابن باديس ابعاد التزكية بمستويات وأولها:

1.4.2 معرفة الفرد لقيمته الفردية

وذلك باستخدام الوسيلة الناجحة والتي تتجسد في معرفة العبد لقدر نفسه وهذه المعرفة هي التي تطهر نفسية الفرد داخليا، (فعلينا أن نكرم أنفسنا بتكريم أرواحنا بتنزيهها عن مساوئ الأخلاق وتحليتها بمكارمها، وتكريم عقولنا لتنزيهها عن الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات. (رابح تركي، 1974، ص 175)، وعلينا ربط النفس بالعلوم

والمعارف وتصحيح الاعتقادات وتكريم جوارحنا بتنزيهها عن المعاصي وتجميلها بالطاعات. آن معرفة الانسان لنفسه هي بداية التغيير النفسي لكيانه الانساني ويجب أن يجد السبيل الأمثل لتغيير اتجاهاته السلبية وتعديلها اعتمادا على ما جاء في القرآن (أحمد، 2011، ص 197) لأن القرآن العظيم دواء من عند ربنا، شفاء لأمراض عقولنا وأمراض نفوسنا وأمراض مجتمعنا.

فجوهر التغيير المنشود يكمن في روح القرآن، وأن يكون العلم هو المنطلق الصحيح إذا اعتبرنا أن سلوك الفرد في الحياة يرتبط بتفكيره ومعتقداته ولهذا نجعل من العلم قائد المعركة ضد نفسنا ليحررنا من الجمود تطبيقا لما يؤكده ابن باديس: (العلم هو وحده الامام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقادات لأن سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا. يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه، ويثمر بإنارته ويعقم بعقمه. لأن افعاله ناشئة عن اعتقاداته واقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة ادراكه الحاصل عن تفكيره ونظره.). (طالبي، 1978، ص 466)

نزكية النفس تتم بالعلم والعقائد الحقه وصحة الإرادة وتأكيدا لذلك يربط ابن باديس هذه العلاقة التكاملية بمختلف جوانب نفسية الفرد التي تتميز بالتعقيد من حيث تركيبها الإنساني (هم الذين صلحت أنفسهم. فصلحت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وذلك تطبيقا لم جاء في القرآن (ان تكونوا صالحين). وان اصلاح النفس متوقف على التوبة وعلى المجاهدة في تزكية النفس)) ويقول في هذا الصدد حجة الاسلام الامام الغزالي (النفس تخلق ناقصة وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم)). (طالبي، 1978، ص 506)

نستخلص مما سبق أن النفس تتميز بقابلية التأثر والتزكية سواء بالتهذيب الخلقي وبالتعليم والتربية ولهذا نقول إن التزكية عند ابن باديس تعني الإصلاح والتطهير والتنمية لجوانب شخصية الفرد وتعديل مواقف سلوكه وفق اكتساب اتجاهات نفسية جديدة تساعد على انسجامه النفسي مع نفسه ومع مجتمعه. والتركية في مجال السلوك هو الابتعاد عما هو غير مطلوب ودعم ما هو مرغوب، وبناء السلوك الفاضل واحداث تغير في سلوك غير المستقيم من اجل جعله سلوكا مستقيما، والقرآن يقدم التركية على التعليم ويجعلها مقدمة له حيث تسهل العملية التربوية وتدعمها، كما جاء في الآية: "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" (الشمس آية 7).

ولا تقتصر التزكية على ميادين النفس ولكنها تمتد لتشمل جميع أبعاد شخصية الإنسان البعد النفسي ثم البعد العقلي والجسمي والتكامل الوظيفي، وقد ادرك ابن باديس دورها في تدعيم شخصية الفرد وتشكيل كيانه الفردي ويؤكد هذه الفكرة (لا يستطيع ان ينفع الناس ممن أهمل أمر نفسه، فعناية المرء عقلا وروحا وبدنا لازمة له. ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد). (ابن باديس، 1986، ص 199)، فحدد العلة والعلاج من خلال تجسيد فكرة تكريم الانسان لنفسه ومعرفة قدره بفضل الربط المتكامل بين مطالب البدنية والروحية لصلاح الانسان وذلك بإجاد معيار التقييم السلوكي للفرد يكون أساسه الموضوعي وبعده النفسي لكيانه الانساني.

2.4.2 التزكية العقلية

تتجسد التزكية العقلية في أسس التفكير العلمي القرآني وذلك باستخدام العقل والتفكير ومختلف العمليات العقلية العليا في التدبير الكوني وفي آيات الله الكونية من أجل اكتشاف المجهول وأن يكون العقل أداة العمل والتفكير من أجل إدراك العلة والمعلول «قد ربط الله بين الاسباب والمسببات»، ومعرفة السبب يجنينا المسبب ومن أجل فهم العلاقة القائمة بينها يجب أن نملك القدرة على التحليل والربط والتركيب من أجل الوصول الى الحقيقة العلمية التي نكشف لنا عن الحقيقة الكونية وعظمة الله. فاستخدام الانسان للعقل والقدرات العقلية يعني تسخير الطبيعة لصالحه وتحقيق رقية الحضاري، وتمكن من اكتشاف اسرار الطبيعة وفهم الغازها. ويمكن تحديد أبعاد التزكية العقلية عند أبن باديس فيما يلي: (ابن باديس، 1986، ص 244)

- الدعوة إلى استخدام العقل والقدرات العقلية العليا لفهم أسرار الكون والتجديد التربوي ونجده وقف موقفا تشدديا من التقليد والجمود والتحجر العقلي وذلك بمحاربة الاوهام والشكوك والاعتقادات الخاطئة نتيجة التقليد الأعمى الذي خيم على عقول الأفراد في المجتمع بسبب الجهل والأمية والطرقية التي كانت تخدر في عقول أبناء الأمة باسم الدين ووقف لها بالمرصاد.
- الدعوة إلى التفكير العلمي الصحيح بدلا من الظن وقد وضح ذلك في شرحه للآية «ولا تقف ما ليس لك به علم، ان السمع والبصر الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا"

(من سورة الاسراء الآية 36)، والعلم الصحيح في المفهوم الاسلامي يكون منطلقا من البرهان والحجة.

- استخدام العقل من أجل إدراك الحقيقة الجازمة المبنية على اليقين العلمي والمنطق القرآني، وهذا ما عناه في دعونه التربوية التي كانت تهدف الى تطهير العقول من الشكوك الأوهام وذلك بفضل التربية القرآنية والتركية العقلية التي تحقق تنمية مختلف القدرات العقلية للفرد الجزائري، من أجل شحذ فعاليته العلمية والروحية القادرة على إحداث تغييرات جوهرية في نفسه ومجتمعه. (طالبي، 1978، ص 234)

3.4.2 التزكية الجسمية

وتتمثل في تطهير السلوك وتعديله وفق الاتجاه الاسلامي ذلك بفضل تلبية الحاجات الأساسية للجسم وتحقيق مطالبه الحفاظ على سلامته ودعمه بالطاقة اللازمة للقيام بالعمل انطلاقا من معايير الأخلاق الإسلامية. فالغذاء الذي يتناوله لفرد يلعب دورا فعالا في الحفاظ على صحته البدنية كما يؤثر على نموه الجسمي «كذلك عليه أن يغذي بدنه بما ينميه وما صلحه وما يقويه ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه او يؤذيه يتوقف بقاء هذا البدن وصلاحه على الغذاء..»، ويتوقف أداء العمل للفرد على مدى اشباعه للحاجات البيولوجية وفق لمنظور الاسلامي، كما تتوقف سلامة جسمه من الأمراض على مقدار الغذاء ونوعيته وفق مطالب الجسم للغذاء ونفعة له.

والحقيقة أن «تتوقف الأعمال على سلامة الأبدان فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل. فليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أحلها الله»، ولهذا أستوجب من الانسان العناية بجسمه ودوافعه البيولوجية فيما يرضي الله والابتعاد عن الخبائث»

4.4.2 التزكية الروحية

تقوم التزكية الروحية على أساس العبادة الخالصة لله والتوحيد وتطهير روح الإنسان من الشرك بالله وذلك بتدعيمه بالتربية الروحية التي تربط صلته بخالق الكون في كل أعماله وأفعاله وأقواله وممارسته وفي العلاقات والمعاملات والعبادات، وأن يكون المنطلق الايمان بالله وتجسيد أركان العقيدة الاسلامية في سلوكه واعتقاده وممارسته الحياتية وأن يكون القرآن دليل عمله وعبادته ومنهج حياته ومنبع أهدافه وغاياته.

فالحقيقة الناصعة أن «نؤمن بأن القرآن العظيم أنزله الله تعالي هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول، وتزكية النفوس وتقويم الأعمال وإصلاح الاحوال وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام وأن كل من خالفه فهو ضال، وأن يكون الاسلام هو أساس تربية الروح الذي يمثل جوهر النفس السامية «أما الاسلام الذاتي فهو اسلام من يفهم قواعده ويدرك محاسنه في عقائده واخلاقه وآدابه واحكامه وأعاله ويتفقه حسب طاقته في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية». (صوالحية، 1986، ص 45). ويمكن تحديد أبعاد التركية الروحية عند ابن باديس فيما يلي:

- الايمان اليقيني للمؤمن ويعبر عن اعتقاده ومحبته لله.
- الحفاظ على الفطرة وتوجيه الانسان نحو الايمان بالله وتوحيده فكرا وعملا وسلوكا.
- تحديد الصلة بين الخالق والمخلوق من خلال التوحيد العملي.
- الممارسات السلوكية والعملية للعبادات الاسلامية وتكوين الدوافع الايمانية وتدعيم العقيدة بفضل القيام بالعبادات واستخدام الأساليب التربوية الفعالة الترغيب والترهيب.
- تنشئة الاطفال على عبادة الله منذ المراحل التربوية والتعليمية الأولى وفق المنظور الاسلامي، انطلاقا من تعاليم القرآن والسنة النبوية وذلك بتعليم الصلاة وادائها عن طريق الترغيب والتشجيع والتوجيه تطبيقا لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبته، لأن عملية التعلم والتعليم والتربية في الاسلام عملية اكتسابية تتم وفق استعدادات الطفل ودوافعه النفسية.
- تحلية جوهر النفس بالخصال الحميدة والاخلاق الاسلامية السامية.
- تدريب الفرد على العبادة وذكر الله وذلك باستخدام الاساليب التربوية الفعالة التي تربط بين النظرية من أجل ترسيخ العقيدة
- الاقتداء بمنهج السلف الصالح في تربية الاطفال منهج الرسول أيام دعوته وتبليغه للرسالة الاسلامية.

وبعد أن حدد ابن باديس ابعاد التزكية التربوية من اجل تحقيق الاصلاح التربوي والاجتماعي والديني ومن أجل تحقيق البعث الحضاري اللامة الجزائرية والوصول الى تحقيق جميع الاهداف والغايات من الإصلاح على مستوى الفرد والمجتمع، دعا إلى رسم استراتيجية تربوية فعالة تضمن نجاح المشروع التربوي وتحديد ما نصبو إليه في الأمد

القريب والبعيد ، وبين أنه يجب علينا تحديد الأهداف المراد بلوغها وايجاد الوسائل الكفيلة لتحقيق تلك الاستراتيجية التربوية مع الأخذ بعين الاعتبار البعد الزماني والمكاني والوضع الاجتماعي والثقافي والحضاري. ولا شك أن ابن باديس أدرك كل هذه الحقائق الجوهرية اثناء قيامه بالإصلاح لأنه جعل من الفرد الغاية والوسيلة في العملية الاصلاحية حسب منظوره التربوي الاسلامي. (طالبي، 1978، ص 221).

3. خطوات المشروع التربوي عند ابن باديس

من أجل تحقيق المشروع التربوي ميدانيا وفق الاستراتيجية التربوية، يتعين تحديد معالم هذا المشروع وخطواته حتى يمكن انجازه. وقد أدرك ابن باديس هذه الحقيقة الجوهرية اثناء ممارسته الميدانية حيث حدد معالم مشروعه من خلال أرائه التربوية ومواقفه الاصلاحية وفق هذا التسلسل المنطقي والتربوي في نظريته التربوية.

- الفرد محور العملية التعليمية باعتباره الغاية من العملية التربوية التي تنطلق منه.
- يعتبر الفرد أساس الاصلاح الاجتماعي والتربوي ولا يمكن تحقيق النهضة الحضارية والاجتماعية والتربوية في غيابه.
- بناء منهاج تربوي يستجيب لمطالب الفرد وطبيعته وتطلعاته الحضارية والعمل على التوفيق بين مطالبه ومطالب مجتمعه وانطلاقا من هذا المتطور التربوي الذي يتميز ببعد النظر في المشكلات التربوية للمجتمع الجزائري.

أدرك ابن باديس المنطلقات الجوهرية للإصلاح التربوي في الجزائر انطلاقا من نظريته التربوية المتكاملة الأهداف والغايات والاساليب والتي حددت معالم الإصلاح التربوي للمنظومة التربوية بعد دراسة المعطيات الحضارية والثقافية والاجتماعية وبعد التشخيص التربوي للنظام التربوي التقليدي الذي أصبح لا يستجيب لمستجدات العصر ومتغيراته الحضارية، وعلى هذا الأساس دعا الى احداث التغيير الجذري في نظامه وهيكله ومنهاجه واهدافه.

ومن هذا المنطلق اعتبر ابن باديس اصلاح التعليم اساس الاصلاح مؤكدا ذلك من خلال معالم خطته الإصلاحية وأسسها المترابطة وتكاملها التربوي من حيث الأهداف والوسائل والاستراتيجية المحددة التي تأخذ بعين الاعتبار الاهداف الإجرائية التي تحقق الاصلاح من حيث الإطار المنهجي والعلمي والقاعدي وتشكل قاعدة المنظومة التربوية التي تمثل

ركائز النظام التعليمي واسسه ومنطلقاته التربوية والتعليمية «لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح. صلح الجسد كله، وصلاح المسلمين انما هو بفقههم الإسلام. وعملهم به وانما يصل إليهم هذا على يد علمائهم. (طالبي، 1978، ص 522)

فاذا أردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء الا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره. فاذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعني بالتعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا كان مبنيا على التعليم النبوي في شكله وموضوعه في عادته وصورته فيما كان يعلم. وكيف كان يعلم، ويمكن إنجاز معالم خطته الإصلاحية في هذه المنطلقات الجوهرية وفق الترتيب الاجرائي والتطبيق في العملية التربوية فيما يلي:

- تحديد الأساليب التربوية والوسائل التعليمية المستخدمة في العملية التعليمية في عهد الرسول، الطريقة التربوية التي استخدمت أسلوب القدوة - أسلوب الترغيب - أسلوب التوجيه، والموعظة الحسنة، أسلوب القصة القرآنية، أسلوب التربية السلوكية واقتلاع العادات السيئة، أسلوب المحاورة والمناقشة - أسلوب استخدام المواقف الحياتية في العملية التعليمية، أسلوب استثمار الوقت.

- تحديد المنهج التربوي الذي يمثل الخبرات التربوية للمتعلمين المراد تحقيقها - المنهج التربوي القرآني والعملي الحديث والسنة الفعلية والولية وتطبيقاتها العلمية، وأن يكون محتوى المنهج أهداف التربية في عهد الرسول حسب فلسفة القرآن وسيرة الرسول واخلاقه، أي وفق أهداف التربية الإسلامية في عهد الرسول وحسب منطلقات القرآن والسنة في العلم والتعلم والتعليم أهداف التربية القرآنية التي جسدها الرسول في واقع الحياة من حيث المعاملات والعلاقات والعبادات التي تراعي أبعاد الشخصية المتكاملة - تحديد منطلقات اصلاح التعليم المنطلقات الحضارية التاريخية الثقافية، الروحية، الإجتماعية، نظام التعليمي التقليدي وتعديد اتجاهاته التربوية. (طالبي، 1978، ص 219)

- تحديد منطلقات اصلاح أهداف اصلاح العلماء وأبعاد الإصلاح وجوانبه، أي بناء منهاجا تربويا الإعداد العلماء للعملية التعليمية وذلك بإعادة النظر في مناهج التكوين والتربية والتعليم الخاصة بهم، وتعديل هذه المناهج وفقا مطالب التكوين وأهداف النظام التربوي بفضل تكوينهم العلمي والثقافي، والديني وتنمية اتجاهاتهم التربوية وتعديل، أهدافهم التعليمية - أي تكوين المعلم الناجم بالقدرة وبالعمل والسلوك والفكر والانضباط التربوي
- تحديد منطلقات إصلاح المسلمين بفضل التربية القرآنية المبنية على العلم والمعرفة والبحث وحب الاصلاح والتفقه في العلوم الدينية والدنيوية وتنمية الاتجاهات التربوية لدى كافة المسلمين وتوفير أمهات الكتب الاسلامية ونهل المعرفة من جميع مصادرها. العلاء المؤلفات - رجال هو بذلك يدعم الفرد المسلم ثقافته الإسلامية وفعاليته الروحية والفكرية والعلمية.

بفضل هذه المنطلقات الإجرائية تغذي المصلح الجزائري مشروعه الاصلاحي والتربوي الذي يتميز بالشمولية والتكاملية من حيث الأهداف والغايات والوسائل والأساليب التنفيذية ومن حيث الواقعية التربوية التي اتسم بها لأنه آخذ بعين الإعتبار المعطيات الواقعية بكل أبعادها وامكانياتها ووسائلها الكفيلة. كما أنه انطلق من الواقع الإجتماعي والحضاري والتربوي للأمة الجزائرية من أجل تغيره. وتحقيق البعث الحضاري بفضل شحن الفعالية الروحية والفكرية والعلمية والتربوية للمجتمع الجزائري من أجل النهوض به من الجمود الحضاري وذلك بتوطيد الإمكانيات المتوفرة لدى الشعب مع توحيد الجهود والطاقات والإرادات من أجل تحقيق معجزة الإصلاح الذي أنقذ المجتمع من التخلف الحضاري والإجتماعي وحقيق التحول الحضاري الرشيد.

مما سبق نستخلص أن نظرية ابن باديس التربوية والإصلاحية في المجال التربوي والتعليمي بصفة خاصة نظرية تراعي الجوانب الكلية للمنظومة التربوية من حيث التكاملية في الجوانب التربوية والتعليمية ومن حيث الأسس والمنطلقات ومن حيث الأهداف والغايات على المستوى القريب والبعيد وهي تهدف إلى خدمة الفرد والمجتمع في آن واحد وتتميز بالترابط التكاملي بين الاطار التنظيري وبين الإطار التطبيقي وتربط بين العلم والعمل، وهذه المنطلقات التربوية تمثل الإطار الفكري لنظريته التربوية التي

استجابت المستجدات عصره لكل معطياته الحضارية والثقافية والتربوية كما استطاعت أن تتمسك بالأصيل الحضاري وتجديده وفق أصوله الفكرية أي وفقت في التحقيق التكاملي ما بين المعطيات الحضارية الأصلية والتجديد التربوي للنظام التربوي من أجل تحقيق النهضة الحضارية للمجتمع الجزائري(صوالحية، 1986، ص 46)

4. مفهوم التربية عند ابن باديس

يرى ابن باديس أن الهدف من التربية هو إعداد الفرد للمجتمع وذلك بإصلاح الفرد الذي يعتبر الخلية الحية في المجتمع وركيزة أساسية لتكوين دعائم المجتمع الانساني، بإعتبار أن الفرد هو اللبنة التي يتكون منها المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلا بتنمية شخصية الفرد من كل الجوانب العقلية، الروحية البدنية والأخلاقية، ويتم هذا بواسطة التعليم والتربية اللذين يعملان على تصحيح عقيدته وتقويم خلقه وتعديل سلوكه، وبعبارة أوضح تكوين اتجاهات إيجابية اجتماعيا ونفسيا لديه حتى يستطيع التلاؤم مع الواقع الاجتماعي الذي يتفاعل فيه يوميا أي تنشئته مواطنا صالحا ينفع نفسه ومجتمعه في السراء والضراء. يقول ابن باديس في هذا الصدد : (لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عقلا وروحا وبدنا - لازمة له - ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملا مشتا لا يهديه علم ولا يمتنه خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا مقوماته ولا بروابطه وإنما ينفع المجتمع الانساني ويؤثر في سيره من كان في الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله...) (صوالحية ، 1986، ص 46)

من هذا المنظور برى ابن باديس أن العناية بالفرد وتكوينه الشامل يعني العناية بالمجتمع بكامله، بإعتبار أن المجتمع يتكون من مجموع أفراد وأن إصلاح المجتمع متركب على إصلاح الفرد وهذا بفضل الإيمان والعمل الصالح الذي ينفعه وينفع غيره ولا يتحقق - ذلك إلا محاربة التخلف الفكري والجمود الاجتماعي ومظاهره المتمثلة في التخلف الثقافي والاجتماعي كالخرافات والبدع والأعال التي تتنافى مع القيم الوطنية والاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع الجزائري العربي المسلم، ويرى ابن باديس أن الوسيلة الناجحة التحقيق ذلك هي التربية والتعليم ويقول : (ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم، التعليم الذي ينشر فيها

الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الأمم.

ويقول أيضا: (بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء والزوال ولهذا نجد أن تنمية شخصيات أفراد المجتمع تتطلب الاعتناء بهم من كل الجوانب وخاصة الأفراد الذين يتحملون مسؤولية التعليم وتكوين الأجيال الصاعدة التي تفيد المجتمع. وفي هذا الاطار يقول ابن باديس : (لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح. صلح الجسد كله وإذا فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم للإسلام وعملهم به وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم ، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل، فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم) (تركي، 1986، ص 333)

إن التعليم هو الذي يشكل شخصية المتعلم وفق أهداف مجتمعه، وهو الذي يحدد مستقبل حياته وما يستفيد من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ويؤمن ابن باديس ايمانا قويا بدور العلم الفعال في نهضة الأمم والشعوب يقول: (إن تهذيب الرجل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل به) ويقول: (إن الاصلاح الديني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما كل ذلك في دائرة الاسلام كما نزل به القرآن والسنة ومضى علية - علا وعملا- السلف الصالح من هذه الأمة وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الاصلاح السياسي). (صوالحية، 1986، ص 47)

مما سبق نستخلص أن مفهوم التربية عند ابن باديس هو العناية والاهتمام والرعاية للفرد ضمن المجتمع وتنمية جوانب شخصيته، وتكون لديه الاتجاهات العقائدية الصحيحة والأفكار الوطنية ومساهمة الفرد في بناء المجتمع، الذي يعتبر عنصرا فعالا فيه، ويؤكد في نظريته أن التربية السليمة هي التي تراعي فطرة الفرد وقدراته العقلية حيث يقول: (لكل إنسان فطرته وعقله فعلينا إذا دعينا إلى شيء أن نعرضه عليها راجعين إلى الفطرة الإنسانية والى العقل البشري).

تعتبر آراء ابن باديس حديثة من حيث أنها تتفق مع الدراسات السيكولوجية الحديثة التي تقرر أن مراعاة الاستعدادات وقدراته العقلية هي أساس تحصيله المعرفي وتشكيل شخصيته المميزة.

لقد استوحى ابن باديس أفكاره التربوية من الدين الاسلامي بكل تراثه والواقع الاجتماعي الجزائري أثناء الاحتلال الاستعماري. (طالبي، 1978، ص 571). الدين الاسلامي الذي يعتبر عقيدة الشعب الجزائري وأنه تجسيد حقيقة الأمة الجزائرية وأصالتها التي تعبر عنها الحضارة العربية الاسلامية، هي التي جعلت ابن باديس ينطلق من القرآن - الكريم والسنة النبوية في بلورة فكرة التربوي، فالقران الكريم يعالج نشوء الخلقية والانسان وطبيعة الانسان ويؤكد وجود النظام في الطبيعة وفي المجتمع ويؤكد ما يتطلبه كل ذلك من أهداف تربوية، لاسما في حقل تهذيب النفس وتنظيم السلوك. وقد اشتق ابن باديس أفكاره التربوية من أهداف التربية في القرآن: (ابن باديس، 1986، ص 186)

5. أهداف التربية عند ابن باديس

1.5 تحديد الاهداف

- إعداد الفرد للحياة: إن القرآن الكريم يعترف بقيمة الفرد ويحمله مسؤولية فردية، والمجتمع في نظر القرآن يجب أن يتكون - من أفراد ذوي مسؤوليات وشعور اجتماعى، فالقرآن الكريم الايسحق الفرد ولا يهمل وجوده كما أنه لا يتطرف في الفردية على حساب الجماعة. فالفرد حسب القرآن اجتماعي والمجتمع يتكون من أفراد اجتماعيين) ويرى وابن باديس أن تربية الفرد الجزائري تستهدف تنمية: مختلف الجوانب الشخصية. ويجب أن تتسم التربية بالشمولية والرؤيا المتكاملة للفرد، حيث يجب تربيته عقليا واجتماعيا وماديا وخلقيا، حتى يستطيع المساهمة في تغيير مجتمعه، ولا يتحقق ذلك إلا بتعليم أبنائنا وبناتنا أصول العقيدة الاسلامية التي تعتبر زادا للأجيال وتحافظ على كيانهم الاجتماعي المميز حيث نربي أبناءنا على الاتحاد والتعاون والاستفادة من الوقت والاهتمام بأنفسهم.

وفي هذا الإطار يؤكد ابن باديس على ما يلي : (على المربين لأبنائنا وبناتنا أنا يعلموهم ويعلموهن الحقائق الشرعية ليتزودوا وليتزودن بها وبما يطبعونهم ويطبعونهن عليه في التربية الإسلامية العالية الميادين الحياة. ويؤكد كذلك على تعليم المرأة التي تساهم

مساهمة فعالة في تنشئة الأجيال وإعدادهم للمستقبل ويقول في هذا الصدد: (النساء شقائق الرجال في التكليف فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن وقد علمهن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقرهن على طلب العلم والتعلم واعتنى بهن وتفقدهن ". (تركي، 1986، ص 174)

- إعداد الفرد للمجتمع: يستهدف القرآن الكريم اقامة نظام اجتماعي مؤسس على مبادئ الوحدة والمساواة والإخاء والتعاون والمشاورة هي جوهر الديمقراطية الحقة والوحدة الاجتماعية ويقول عز وجل: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" [الأنبياء92].

ويقول ابن باديس : (الواجب على كل فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكل فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في النظام والالتحام حتى يكون منهم جسد واحد كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". ويؤكد هذه الحقيقة في توضيح أكثر (بنيان المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم فالكبير والجليل له مكانه والصغير والحقير له مكانه وعلى كل حال أن يسد الثغرة التي من ناحيته مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء لها عنه كما لا غنا له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته مقدار المركز الذي هو فيه والقدرة التي عنده، ولا يجوز الأحد وإن كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته ويجب أن يكون ذلك مجسد سلوكيا وهذا ما يقرره. (تركي، 1986، ص 155)

يؤكد ابن باديس أنه علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب أكيد مع جميع المؤمنين وأن فيه قوتنا وحياتنا وموتنا وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كل ما يقتضه وصف الإيمان الحقيقي. فالاتحاد عملية ضرورية لتحقيق التعاون الإجتماعي في مختلف أبناء الوطن وأن التفرقة ومحاولة بثها بأي طريقة تشتت شملنا وتضعف كياننا الاجتماعي. وقد عمل ابن باديس بكل إمكانياته على تحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف أبناء المجتمع الجزائري من أجل مواجهة العدو الخارجي وكل من أراد المساس بالقيم الوطنية والشخصية الوطنية وقف له ابن باديس بالمرصاد، لأن الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت، ووجدت كل الأم، ولها تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أم الدنيا، ثم أنها ليست هي فرنسا ولا

تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة. وقد حاول توضيح ذلك في مختلف آرائه حيث يؤكد : (ان الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة بين الأم ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والانحدار. (الابراهيمي، 1974، ص 101)

وفي هذا الإطار يخاطب ابن باديس الشباب قائلا: (عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من تعلم واكتسبتم من خبرة محافظين لها على مقوماتها، سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الانسانية بإنهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة وبأي لسان، واقتباس كل ما هو حسن من عند غيرنا ومد اليد إلى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام) (الابراهيمي، 1974، ص 105)

من خلال هذا التحليل للفكر التربوي عند ابن باديس، يتبين أن هذا المفكر قد فهم معنى المعاصرة الحقيقية التي يقتضيها العصر شريطة أن تكون هذه المعاصرة متفقة مع مبادئنا الوطنية وشخصيتنا العربية الاسلامية باعتبار أن الأصالة الشخصية من كل أمة أو شعب هي التي تعمل على التطور والازدهار في إطار مقوماتنا الذاتية. (ابن باديس، 1986، ص 204)

2.5 إعداد الجيل للمستقبل

يرى ابن باديس أن أساس النهوض بالأمة الجزائرية ومحاربة عدو التخلف والجمود يتحقق بإعداد الجيل الصاعد بتكوينه تكوينا يتماشى مع العصر ومقتضياته ويبرهن على ذلك بقوله : (إنما نربي تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم) أن ابن باديس كان يعمل على تكوين جيل مسلح بعقيدة إسلامية ووطنية صحيحة ولو مع علم قليل من أجل النهوض بالمجتمع - الجزائري والتغيير من أوضاع المجتمع التي فرضها المحتل. (تركي، 1986، ص 203)

خاتمة

مما سبق نستخلص أن مفهوم التربية عند ابن باديس هو عبارة عن تنمية المجتمع وتغييره والعمل على تطويره وذلك بمواجهة الواقع شريطة أن تكون البداية الانسان الذي يعتبر الوسيلة والغاية في نفس الوقت ويعتبر أساسا للنهوض الاجتماعي. (تركي، 1986، ص 210)

المراجع

1. ابن نبي مالك، 1978. شروط النهضة، دار الفكر، دمشق
2. أحمد أمينة، 1985. النظرية التربوية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار المعارف، مصر.
3. أحمد نادية، 2011. النظرية التربوية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار النهضة للنشر، مصر.
4. بن باديس عبد الحميد، 1982.مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ك1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
5. تركي رابح، 1974. الشيخ عبد الحيمد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم.
6. الجمالي محمد فاضل ، 1978. نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي الطبعة 2.
7. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر، دار الكتب، الجزائر.
8. السمالوطي نبيل، 1984. تحديث التربوي، دار الشروق، جدة السعودية.
9. صوالحية صالح، 1987. مفهوم الإصلاح عند ابن باديس، مجاهد الأسبوعي، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 1393، أفريل.
10. صوالحية صالح، 1988. مفهوم الإصلاح عند ابن باديس، مجلة الرسالة، وزارة الشؤون الدينية، عدد 1988.
11. طالبي عمار، 1983. ابن باديس حياته وآثاره، الجزء 2، 3. 4، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
12. القرضاوي يوسف ، 1983. الحياة والإيمان، ط9، مصر.